

الطباق والترادف فى نهج البلاغة بين النظرية والتطبيق

مريم جليليان¹

الملخص

يعتبر نهج البلاغة كأثر دينى من جهة وأدبى من جهة أخرى أرضاً خصبة للدراسات القيمة فلهدا نال باهتمامات كثيرة من جانب الباحثين وفى المجالات المختلفة.

هذه الصفحات تحمل بعض ما يتعلق بالبحث فى الاثنى من مواضيع البديع وهما الترادف والتضاد فى عدد من الرسائل الواردة فى نهج البلاغة والموجهة إلى المخاطبين المختلفة. الترادف والتضاد فى الكلام العلوى يأتى للمقاصد الدلالية ولمقتضى المقامات المختلفة كما يؤدى إلى التنوع فى الصياغة والتحسين فى اللفظ.

الفنون البديعية وخاصة الترادف والتضاد فى نهج البلاغة لم تكن وسيلة لتزيين اللفظ فحسب، فهذه إضافة إلى ما فيها من جمال اللفظ لها أثر بالغ فى إثراء المعانى. هذا المقال قام باختيار عدد من رسائل الإمام(ع) لمخاطبيه المختلفة واستخراج نماذج الترادف والتضاد بأنواعهما ثم للوصول إلى النتائج الجلية يستفيد من أسلوب الإحصاء ويستخدم الرسوم البيانية، ثم يبين البحث أن الطباق بالتركيز على التباين بين المتضادين يؤثر فى إبراز المعانى ويساعد على إيضاحها، وإضافة إلى قيمته المعنوية يمثل نسقاً بارزاً فى الإيقاع الذى تحفل به الرسائل. وأما الترادف فهو يأخذ بين العبارات والمفردات حيزاً واسعاً من النصوص. هذا الحضور المكثف للعبارات المترادفة تلميح إلى إلحاح الإمام(ع) وإصراره على المعانى الخاصة. من الترادفات الواردة تبين لنا أن كاتب الرسائل استفاد من العبارات المترادفة أكثر من المفردات المترادفة. ومن اللافت أن تكرار العبارات المترادفة قد منح النص قوةً وانسجاماً وزاده سبكاً والتحاماً.

الكلمات الدليلية: الإمام على (ع)، نهج البلاغة، الترادف، التضاد.

¹الأستاذة المساعدة فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان

المقدمة

إنّ نظام اللغة يستفيد لأداء المعاني من إمكانيات مختلفة وكل كاتب نظرا إلى براعته في الكتابة وموضوعه ومخاطبيه، وأغراضه من إنتاج النص يختار أسلوبا متميزا لكلامه؛ ومنها للترادف والطباق ولهما أثر بالغ في المعنى وكيفية نقله إلى المخاطب.

يعدّ نهج البلاغة من أثرى الكتب الدينية وبما فيه من المضامين العالية والألفاظ الفصيحة له حظ وافر من الاهتمام. وبما أنّ كلام الإمام علي(ع) ذوقيمه دينية وأدبية بالغة فللدراسة فيه أهمية كبيرة. أعرب الإمام علي(ع) في كتاباته عن المواضيع الدينية والسياسية والاجتماعية و... بأسلوب أدبي فريد، وفي قمة الفصاحة والبلاغة، والدراسة فيها يساعدنا للوقوف الأكثر على قيمتها الأدبية والجمالية ويعيننا على التعرف الأكثر على مضامينه العالية.

يعتبر الطباق والترادف من أهم فنون البديع ويقعان تحت طائفة المحسنات المعنوية. فالمعنى الإصطلاحى للطباق هو «الجمع بين المتضادين المتقابلين، وهذان المتضادان أو المتقابلان قد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين» (مطلوب، مادة طباق).

يُعدّ الطباق نوعا من أنواع البديع «ويعنى تعاكس الدلالة والكلمات ذات الدلالات المتعاكسة متضادات» (بالممر ١٤٤). فيعتبر الطباق من مظاهر التناسب ولكن في الجهة العكسي أو السلبى، لأنّ الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر.

وأما الترادف فهو في اللغة «تتابع شيء خلف شيء والترادف التتابع. وعند أهل العربية والأصول هو توارد لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على معنى واحد من جهة واحدة» (التهانوى ١: ٤٣).

فمن البحوث التي اهتمت بدراسة نهج البلاغة يمكن الإشارة إلى بعض الكتب المختلفة والمقالات المنوعة ولكن مما له صلة القرابة بينها وبين هذا البحث: مقالته "الطباق والمقابل في خطب الإمام علي(ع) في نهج البلاغة" لرضاته حسين صالح، التي طبعت في مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية المجلد التاسع العدد السابع عشر، كانون الأول ٢٠١٠.

وأما بالنسبة إلى رسائل نهج البلاغة لم نعثر على بحث ألمّ بالدراسة في الترادف والطباق، وهذه الدراسة من نوعه فريد ولم يسبقه بحث آخر. هذا المقال قام باختيار عدد من رسائل الإمام(ع)